نتنياهو.. والإرادة العربية..!!

لم تكن هناك حاجة لهذا الفزع - والصخب - الذى اجتاح العالم العربى عشية إعلان فوز بنيامين نتنياهو فى الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة، ذلك الفزع الذى وصل إلى حد التناقض فى التصريحات، والتعارض فى المواقف، والتضارب فى تقدير النتائج تقديراً صحيحاً بعيداً عن التشنج والانفعال.

حقيقة أن نتنياهو قد استخدم فى حملته الانتخابية شعارات، وتبنى مواقف، تختلف عن مواقف وتوجهات رئيس الوزراء السابق شيمون بيريز، لكن هذه الشعارات التى كانت موجهة للاستهلاك المحلى بالدرجة الأولى، ماكان يجب أن تنسينا بعض الثوابت التى تحكم الموقف فى الشرق الأوسط، أو تصرفنا عن بعض الحقائق التى صاحبت الانتخابات الإسرائيلية وترتبت عليها.

● ففوز نتنياهو بمنصب رئيس الوزراء ليس معناه أن كتلة الليكود هى التى فازت فى الانتخابات الإسرائيلية، فانتخاب «شخص» رئيس الوزراء قد جرى مستقلا عن انتخاب أعضاء الكنيست - البرلمان الإسرائيلى - وفقا لنظام الانتخاب فى إسرائيل، بل إن الانتخابات البرلمانية هناك قد أسفرت عن فوز الليكود بالمركز الثانى بين الأحزاب التى حصلت على مقاعد فى الكنيست - ٣١ مقعدا - بينما ظل حزب العمل يحتل المركز الأول بحصوله على ٣٤ مقعدا.

● إن انتخاب «شخص» نتنياهو لمنصب رئيس الوزراء قد تم بأغلبية نصف فى المائة «١٦ ألف صوت» مما يعنى أن نصف الناخبين فى إسرائيل لا يؤيدون سياسات نتنياهو - وشعاراته - حتى ولو كان الفوز - فى الدول الديمقراطية - يتطلب الحصول على نصف أصوات الناخبين زائد واحد، أى الأغلبية المطلقة لعدد الأصوات.

● إن حصول شيمون بيريز مرشح حزب العمل على نسبة ٤٩,٥٪ من أصوات الناخبين يجعل نتنياهو مضطرا - كما هو الحال فى جميع الدول الديمقراطية - أن يدخل فى اعتباره إرادة واتجاهات نصف الناخبين الذين لم يعطوه أصواتهم، وأعطوها لمنافسه، ذلك أن الديمقراطية ليس معناها استبداد الأغلبية حتى ولو كانت ضيئلة، وإهدار إرادة الأقلية حتى ولو كانت كبيرة..!!

● إن إسرئيل ليست وحدها فى العالم بحيث تفرض إرادتها على المجتمع الدولى أو تضع شعاراتها موضع التنفيذ، حتى ولو كانت تتعارض مع التوازنات الدولية والإقليمية، وهذا القيد على شعارات إسرائيل وتوجهاتها يظل قائما إذا كان رئيس وزرائها ينتمى إلى كتلة الليكود أو إلى حزب العمل، فالمصالح والتعهدات الدولية قائمة سواء فاز الليكود أو فاز حزب العمل، وإرادة - وقبول - الدول المجاورة لإسرائيل هى التى ستحدد أبعاد السلام وقابليته للاستمرار، سواء كانت إسرائيل قد اختارت نتنياهو أو اختارت شيمون بيريز.

● إن القاعدة «القليلة» التى حصل عليها الليكود فى البرلمان الإسرائيلى تجعله مضطرا إلى التحالف مع أحزاب أخرى - وهو ماحدث بالفعل - وهذا التحالف مع أحزاب أكثر تشددا سوف يجعل نتنياهو أمام أحد اختيارين، فإما أن يتشدد نتنياهو إرضاء لحلفائه فيفقد تأييد نصف الناخبين الإسرائيليين - وربما أكثر من النصف - وهم الناخبون الذين رفضوا التشدد منذ البداية، وإما أن يصطدم بتشدد الأحزاب المتحالفة معه فينهار الائتلاف وتسقط الحكومة، وهذان الاختياران هما - فى النهاية - فى صالح القوى المدافعة عن السلام.

● إن مناحم بيجين، وقد كان أيضا زعيما لليكود، قد اضطر إلى عقد معاهدة السلام الأولى - مع مصر - تحت ضغط التوازنات الدولية من جهة، ومن جهة أخرى لأنه لم يكن من بين الأحزاب الإسرائيلية المؤثرة من يستطيع أن «يزايد» عليه فى عملية السلام، وهو ذات الموقف الذى يجد الآن نفسه فيه بنيامين نتنياهو.

● إن نتنياهو قد مارس العمل الدبلوماسى فترة طويلة من حياته العملية، وهو يعلم أكثر من غيره معنى التوازنات والمصالح الدولية، وهو لابد يقدر أكثر من غيره أيضا أن التأييد الأمريكى الذى اعتمدت عليه إسرائيل منذ قيامها حتى الآن لم يعد تأييدا مطلقا كما كان فى ظل النظام الدولى الجديد، وبعد حرب تحرير الكويت بالذات، فالمصالح والالتزامات الأمريكية فى المنطقة قد أخذت أشكالا جديدة، كما أن مصالح واتجاهات كتل دولية أخرى - فى مقدمتها المجموعة الأوروبية - لابد أن تفرض نفسها على موقف الولايات المتحدة وتوجهاتها فى المنطقة.

● إن الصخب والصراخ العربى هو الورقة الرابحة التى يهديها العرب للمتشددين فى إسرائيل، فالتصريحات العربية - وبعضها غير واقعى أو موضوعى - هى حجة المتشددين الإسرائيليين أمام الرأى العام العالمى على أن العرب لا يريدون سلاما، أو أنهم - على الأقل - يناورون بالسلام ولا يؤمنون به..!! لذلك فإن قليلا من التصريحات وكثيرا من ضبط النفس أجدى للعرب ولقضيتهم من هذا الصخب والفزع الذى لم يحقق لهم أية نتائج على مدى نصف قرن، وقد آن الأوان لكى ندخل إلى القرن الواحد والعشرين بثقة أكبر فى النفس، ودراسة أعمق لحقائق الصراع وأبعاده.

أحمد طلعت